مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 12، العدد1، (السداسي الأول 2020)
ص. 91-122

الموقف العربي من الاستشراق: دراسة تحليلية

The Arab Attitude towards Orientalism

أ.د محمد بن سعيد عبد الله السرحاني*
جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، sirhany@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/11/30 تاريخ القبول: 2020/01/18

ملخص:

تعددت الآراء النقدية في الموقف من الاستشراق، وتباينت بين مادح وقادح ومعتدل في نقده؛ إذ نظر الفريق الأول إلى الاستشراق نظرة المعجب والمنبهر بما حققه المستشرقون في ميدان التأليف والمعاجم وتحقيق المخطوطات، مثنيًا على المنهجية الاستشراقية، متجاهلًا الهفوات والأخطاء الجلية في دراستهم للإسلام، وفي مقابل الفريق المادح الذي لا يرى في الاستشراق إلا محاسنَه كان الفريق الآخر الذي وقف موقف العداء للإنتاج الاستشراقي بأكمله، خيره وشره، متهمًا المستشرقين بالتحيز والتحامل على الإسلام والمسلمين وخدمة الاستعمار والتنصير، واصفًا إنجازات المستشرقين في مجال المعاجم والتحقيق والتأليف أنها منصبة في تحقيق أهداف الاستشراق المشبوهة؛ وتوسط فريق ثالث في حكمه على الدراسات الاستشراقية بين الفريق الأول والفريق الثاني؛ إذ أثنى على بعض إنجازات المستشرقين العلمية، مع بيان أخطاء عدد من المستشرقين في موقفهم من الإسلام والمسلمين، وقد عملت على استقراء العديد من هذه الدراسات النقدية للاستشراق من خلال تخصصي في هذا المجال، للوصول إلى تقييم لتلك الدراسات الناقدة، مؤكدًا على ما وقفت عليه من إيجابيات تلك الدراسات، ومستدركًا الدراسات، ومستدركًا على ما أظنه خالف المنهج العلمي، ومحاولًا الوصول إلى أبرز إيجابيات الحركة النقدية للدراسات الاستشراقية .

الكلمات المفتاحية: الاستشراق؛ العرب؛ الدراسات؛ الفكر.

* المؤلف المرسل

المنارة للاستشارات

Abstract:

There are many critical views on Orientalism; some praises, others defame and a group are moderate in their critical views. The first group looked at orientalism with admiration by what Orientalists achieved in the field of authorship, dictionaries and manuscript review, praising the Orientalist methodology, ignoring the lapses and obvious mistakes in their study of Islam.

In contrast to the praising team that sees only merits in Orientalism, the other team that has taken a hostile position towards the entire Orientalist production, looking at it as benevolent and evil, accuses the Orientalists of bias and prejudice against Islam and Muslims, and the service of colonization and Christianization, describing the achievements of Orientalists in the field of dictionaries, revision and authorship as being acts aim at achieving suspicious orientalism goals

The third team was moderate in its judgment on Orientalist studies; as they praised some of the Orientalists scientific achievements, revealing the mistakes of a number of Orientalists in their attitude towards Islam and Muslims. In this research I have extrapolated many of these critical studies of Orientalism through my specialization in this field, to reach an evaluation of those critical studies, confirming the findings of those studies, commenting on what I think is contrary to the scientific method, and trying to reach the most important positives of the critical movement for Orientalist Studies

Keywords: Orientalism ; Arab; Studies; Thought.

مقدمة:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تعددت الآراء النقدية في الموقف من الاستشراق، وتباينت بين مادح وقادح ومعتدل في نقده؛ إذ نظر الفريق الأول إلى الاستشراق نظرة المعجب والمنبهر بما حققه المستشرقون في ميدان التأليف والمعاجم وتحقيق المخطوطات، مثنيًا على المنهجية الاستشراقية، متجاهلًا الهفوات والأخطاء الجلية في دراستهم للإسلام، وفي مقابل الفريق المادح الذي لا يرى في الاستشراق إلا محاسنَه كان الفريق الآخر الذي وقف موقف العداء للإنتاج الاستشراقي بأكمله، خيره وشره، متهمًا المستشرقين بالتحيز والتحامل على الإسلام والمسلمين

المنارة للاستشارات

وخدمة الاستعمار والتنصير، واصفًا إنجازات المستشرقين في مجال المعاجم والتحقيق والتأليف أنها منصبة في تحقيق أهداف الاستشراق المشبوهة؛ وتوسط فريق ثالث في حكمه على الدراسات الاستشراقية بين الفريق الأول والفريق الثاني؛ إذ أثنى على بعض إنجازات المستشرقين العلمية، مع بيان أخطاء عدد من المستشرقين في موقفهم من الإسلام والمسلمين، مميزًا بين المراحل التي مر بها الاستشراق، ومفرقًا في نظرته للمستشرقين بين المستشرقين المتحاملين على الإسلام لتحقيق أهداف استعمارية أو تنصيرية، وبين المستشرقين المعتدلين ممن كانت لهم مواقف إيجابية من الإسلام والمسلمين.

وقد عملت على استقراء العديد من هذه الدراسات النقدية للاستشراق من خلال تخصصي في هذا المجال، للوصول إلى تقييم لتلك الدراسات الناقدة، مؤكدًا على ما وقفت عليه من إيجابيات تلك الدراسات، ومستدركًا على ما أظنه خالف المنهج العلمي، ومحاولًا الوصول إلى أبرز إيجابيات الحركة النقدية للدراسات الاستشراقية. وقد حرصت على الوقوف على أبرز الدراسات النقدية للحركة الاستشراقية، مقتصرًا على بعض الأمثلة التي تمثل توجهًا ومنهجًا خاصًا، دون سرد وتتبع للدراسات المتشابهة لكثرة تلك الدراسات وتعذر حصرها جميعها ودراستها في بحث واحد، محددًا دراستي في المواقف العربية الناقدة للاستشراق، مع وجود بعض الدراسات الغربية النقدية التي تستحق أن تكون بحثًا منفصلًا، مقسمًا بحثي إلى الفصول التالية:

الفصل الأول: موقف المفكرين العرب المؤيدين للحركة الاستشراقية.

الفصل الثاني: موقف المفكرين العرب المعارضين للحركة الاستشراقية.

الفصل الثالث: أبرز ملامح المنهجية العلمية لتقييم الحركة الاستشراقية.

الخاتمة: النتائج والمقترحات.

المنارة للاستشارات

الفصل الأول: موقف المفكرين العرب المؤيدين للحركة الاستشراقية:

تناول عدد من المفكرين العرب الدراسات الاستشراقية بالدراسة والتتبع لجهود المستشرقين في التصنيف والتأليف وفي حفظ المخطوطات وفهرستها وتحقيقها ونشرها، تناولوا تلك الدراسات بالثناء والإعجاب والإطراء والتأييد، وانصبت جل تلك الدراسات على جهود المستشرقين في حفظ المخطوطات ونشرها، وتناولت دراسات أخرى منهجية المستشرقين بالثناء، وقد تفاوتت تلك الدراسات المؤيدة للحركة الاستشراقية في التأييد والثناء على جهود المستشرقين، إذ بالغت طائفة من أولئك الكتاب في الثناء على المستشرقين وتدبيج عبارات الإطراء والمديح، وصورت جهود المستشرقين بالإنجازات الخارقة التي لم يسبقهم إليها أحد، ودعت إلى تمجيد المستشرقين، وألقت اللوم وكل صفات النقص على جهود العرب والمسلمين العلمية، ووصفتهم بأوصاف النقص والتجهيل، مع تعمد تجاهل زلات وأخطاء بعض المستشرقين والحركة الاستشراقية؛ وكان في مقدمة أولئك الكتاب والمفكرين: العقيقي، وصلاح الدين المنجد، ومحمد كرد علي، وطه حسين، وعبدالرحمن بدوي، وغيرهم.

وأما الطائفة الأخرى من المؤيدين للحركة الاستشراقية فقد أسبغوا بالثناء والتأييد على جهود المستشرقين وأعمالهم في مجال حفظ المخطوطات وتحقيقها وفهرستها ونشرها وبقدر من الاتزان في المدح والثناء، مع الإشارة -وإن كانت باستحياء- إلى بعض أخطاء المستشرقين، مع تلمس الأعذار لهم في أخطائهم تلك، وكان من أبرز أولئك الكتاب: عائشة عبدالرحمن، وزكي مبارك، وطيب تيزيني، وهشام جعيط... وغيرهم.

ونبدأ باستعراض مواقف الطائفة الأولى المبالغين في المدح والثناء على المستشرقين، مع التعليق على مواقف كل واحد منهم إن استدعى الأمر ذلك، أو التعليق على المواقف المتشابهة في موطن واحد تجنبًا للتكرار.

يعرض ميشال جحا مواقف العرب من المستشرقين، إذ صنفهم إلى ثلاث طوائف:

المنارة للاستشارات

الأولى: يصفها بالعدائية للاستشراق والمستشرقين، ويغلب على موقفهم التشكيك في أعمال المستشرقين، معرضًا بمناهجهم في دراساتهم، منتقصًا مواقفهم الناقدة المعارضة للاستشراق[1].

ويكيل المدح والثناء على الطائفة الثانية المعجبة بأعمال المستشرقين ومناهجهم، ممن بالغوا في الثناء على المستشرقين، واصفًا مواقفهم بالمواقف العلمية الجادة[2].

ثم يورد الفريق الثالث ممن توسطوا في حكمهم على الاستشراق والمستشرقين، ويختم بحثه بالثناء على جهود المستشرقين في خدمة التراث العربي والحضارة العربية في جمع المخطوطات ونشرها[3].

يُحمد لميشال جحا كتابه المتميز: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، والذي يعتبر إضافة متميزة ومرجعًا هامًا في التعريف بالأعمال الاستشراقية في أوروبا، وقد تميز بحسن التصنيف والتمييز، ولكنه لم يسلم في حكمه على تلك الأعمال والمواقف الاستشراقية من الإفراط في الثناء، والمبالغة في المدح، مع التوقف عن بيان سقطات وأخطاء بعض الأعمال الاستشراقية، ولعل معايشته للمستشرقين وقربه منهم جعله يغلب الثناء عليهم ويتجاوز عن سقطاتهم.

وأما العقيقي فيذكر مكانة المستشرقين في التحقيق والنشر وحفظ التراث قائلًا: "فتناولوا تراثنا بالكشف والجمع والصون والتقويم والفهرسة، ولم يقفوا منه عندها فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات، وإنما عمدوا إلى درسه وتحقيقه ونشره وترجمته والتصنيف فيه: في منشئه وتأثره وتطوره وأثره وموازنته بغيره، واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم، مصطنعين لنشره المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات، حتى بلغوا فيه منذ مئات السنين وفي شتى البلدان وبسائر اللغات مبلغًا عظيمًا من العمق والشمول والطرافة، وأصبح جزءًا لا ينفصل عن تراثنا، ولا تؤرخ الحضارة الإنسانية إلا به"[4].

---

[1] ينظر: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1982م، ص260،
وينظر: موقف العرب من المستعربين، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، الاستشراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، العدد الأول، كانون الثاني، 1987م، 36/1، 37.

[2] ينظر: موقف العرب من المستعربين، المرجع السابق، 41/1–43.

[3] ينظر: المرجع نفسه، 44/1.

[4] المستشرقون، مرجع سابق 7/1.

المنارة للاستشارات

ويشير إلى أهمية بيان جهود المستشرقين وعدم التنكر لهم حتى وإن كان لنا بعض المآخذ على ما نشروه فيقول: "فإن نحن طوينا هذا الجهد تنكرنا للأمانة العلمية في البحث عن الحقيقة الموضوعية -مع أن نشره لا يتضمن الموافقة عليه والرضا عنه جميعه- فكأننا نأبى أن يكون تراثنا جزءًا لا يتجزأ من الحضارة الإنسانية التي هي ملك لنا كما هي ملك لهم، وإن طي نشاطهم يبعث على الريبة وسوء الظن والقطيعة، في حين إن الحضارة الإنسانية لا تقوم لها قائمة إلا على التعاون في نشر ذخائر كل أمة في العلوم والفنون والآداب على تنوعها وأوجه الشبه والاختلاف فيها، تعاونًا يقصر المسافات النفسية بينها"[1].

ثم يختم بذكر أهمية إبراز جهود المستشرقين في كتابه بقوله: "أما وقد شغلوا بتراثنا كشفًا وجمعًا وتحقيقًا وتصنيفًا منذ ألف سنة في جميع البلدان وبشتى اللغات، فلا أقل من أن نشكر لهم فضلهم على العربية بالعربية، ونذيعه في كتاب -وإن لم يكن في مثل دقة كتبهم وعمقها وشمولها وجدتها- هو: المستشرقون"[2].

وقبل مناقشة موقف العقيقي من المستشرقين تجدر الإشارة إلى مكانة كتابه الموسوعي، فقد اشتهر العقيقي بكتابه الموسوعي: المستشرقون، الذي يقع في ثلاث مجلدات، وهو من المراجع التي لا يستغني عنها الباحث في دراسته للاستشراق، فقد جاء كموسوعة شاملة لمعظم المدارس الاستشراقية، مع التعريف بأبرز رواد تلك المدارس الاستشراقية وجهودهم العلمية في البحث والتحقيق والدراسة، وقد غلب على عرضه بيان جهود المستشرقين مع الثناء والتمجيد لتلك الجهود، دون أن يتبعها بنقد أو تحليل وبيان ما وقعوا فيه من أخطاء وزلات علمية ومنهجية؛ ولا غرابة أن يكون موقفه من الاستشراق موقف التمجيد والثناء بعد هذه الموسوعة التي جاءت في مجملها حصرًا لجهود وأعمال المستشرقين، ولا يتوقع منه والحال كذلك أن ينتقد أعمال المستشرقين.

ومن الدراسات الموسوعية لكتابات المستشرقين موسوعة: المستشرقين لعبدالرحمن بدوي، والتي عَرَّف فيها بأعمال قرابة ستمائة مستشرق أوروبي، من بداية القرن السابع عشر إلى بداية القرن العشرين، أثنى كثيرًا عليهم وعلى أعمالهم، وتحاشى نقدهم إلا نقدًا محدودًا لعدد يسير من المستشرقين، وقد أبدى إعجابه بمنهجهم، وعمل على الدفاع عنهم

[1] المرجع نفسه، 8/1.

[2] المرجع نفسه، 625/3.

المنارة للاستشارات

وتقريظ أعمالهم في تلك الموسوعة[1]، وقد كان تأليفه لكتابه "دفاعًا عن القرآن" منعطفًا آخر نقد فيه المستشرقين، ونافح عن كتاب الله بمنهج عقلي، وكان يُعد مفاجأة للقراء أن يصدر ذلك النقد اللاذع من صاحب موسوعة "المستشرقين" بما حواه من إطراء لأعمال المستشرقين.

فهل هذا تحول في حياة عبدالرحمن بدوي المفكر الإسلامي، أم هو من طبيعة دراسات المفكرين أصحاب المنحى الفلسفي، والذين تجد لديهم حدة في النقد ومبالغة في المدح وتنوعًا في الأساليب، وربما ما يشبه التناقض أحيانًا، وقد يكون ذلك التأرجح ظاهرًا في موقفه من مستشرقَين كان موقفهما من الإسلام متشابهًا، ونجده يمتدح الأول ويقدح في الآخر، ففي مناسبة وفاة المستشرق لويس ماسنيون يقول: "إن خسارة الدراسات الإسلامية بوفاة المستشرق ماسنيون كبيرة لا تعادلها خسارة؛ لدرايته التامة بالفقه الإسلامي والنصوص الدينية، ولفضله العظيم في تفسير نشأة التصوف الإسلامي وتطوره تفسيرًا مستمدًا من الأصول الإسلامية ومن الكتاب الكريم والسنة المطهرة"[2].

وفي مقابل ذلك ينتقد المستشرق الألماني نولدكه انتقادًا عنيفًا في موقفه من القرآن[3].

وبالأسلوب نفسه يهاجم المستشرق مرجليوث والمستشرق هيرشفيلد وهوروفيتز، ويصفهم بالتعصب والعداء للإسلام والمسلمين[4].

ويتهم بدوي المستشرقين بصفة عامة بتحريف الحقائق، ونشر الأكاذيب عن الإسلام فيقول: "وهدفنا كشف القناع عن العلماء المزعومين الذين قدموا الضلال والخداع لشعب أوروبا ولغيره من الشعوب الأخرى"[5].

---

[1] موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت.

[2] منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، ط1، 1997م، ص95، 96.

[3] ينظر: عبدالرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة، ص45.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص6.

[5] المرجع نفسه، ص8.

المنارة للاستشارات

ويعزو أخطاء المستشرقين إلى ضحالة أو نقص معلوماتهم عن المصادر العربية، وسيطرة الحقد على الإسلام الذي ورثوه ورضعوه منذ طفولتهم، وتتبع المشابهات بين الإسلام وغيره من الديانات، والخروج بنتيجة تأثر الإسلام بغيره من الديانات السابقة عليه[1].

ويذهب طه حسين في مقدمة كتابه في "الأدب الجاهلي" إلى أن أبحاث المستشرقين أبحاث علمية قيمة، وأن كل دارس لتراث الشرق لا يمكنه أن يقدم عملًا علميًا مفيدًا ما لم يقف على النتائج العلمية لأبحاث المستشرقين، فهم أهل العلم، ولا يلتمس العلم إلا عندهم، قال: "وكيف نتصور أستاذًا للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة، وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولابد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا"[2].

وقد ظهر تأثره بمنهجهم التاريخي النقدي في مجال النقد التاريخي والنقد الأدبي، فعلى صعيد النقد الأدبي ظهر تأثره بنظرية مرجليوث في الشك في الشعر الجاهلي الذي نفى أن يكون الشعر الجاهلي ممثلًا للعصر الجاهلي، وإنما هو -كما يزعم- نتاج مرحلة تالية لظهور الإسلام، وهو ما يعرف بنظرية الانتحال في الشعر الجاهلي، والتي رددها بجانب مرجليوث عدد من المستشرقين أمثال بلاشير، والذي عمد إلى التشكيك في نسب المتنبي تأكيدًا للزعم بأن الشعر الجاهلي منتحل، وقد تابعه في هذا التشكيك طه حسين.

وقد تابع أستاذه دوركايم الفرنسي في التقليل من شأن أسبقية المسلمين في إنشاء قواعد لعلم الاجتماع والممثلة في مقدمة ابن خلدون، وذلك في أطروحته التي تقدم بها إلى جامعة باريس عام 1914م تحت إشراف دوركايم.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص.7.

[2] مقدمة الأدب الجاهلي، طه الحسين، مجلد 5، ص18، الأعمال الكاملة، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت، نقلًا عن: الفكر الاستشراقي في ميزان النقد الدولي، محمد الدسوقي، بحث ضمن كتاب: دراسات استشراقية وحضارية، العدد الأول، 1413هـ - 1993م، ص.91.

المنارة للاستشارات

وقد بلغ من تحمس طه حسين للمستشرقين ومناهجهم إلى أن دعا إلى متابعتهم في مناهجهم وتجهيل ما سواها من المناهج، فيقول: "أن نسير سير الغربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحب منها وما يكره، وما يُحمد منها وما يُعاب"[1].

ويمتدح صلاح الدين المنجد منهجية المستشرقين في دراستهم للإسلام فيقول: "وقد خرجت من عملي هذا واليقين عندي أن هذا الإنتاج الوافر الضخم جدير أن يطلع عليه العرب المثقفون؛ لأن المستشرقين طرقوا كل ناحية من نواحي ثقافتنا، وعالجوا كل أمر ذي شأن في ديننا وحضارتنا، متبعين في دراستهم وأبحاثهم طرق البحث المنهجي المنظم، ولقد أتيح لهم أن يكونوا أحيانًا كثيرة أكثر إحاطة بالمصادر، وأبصر بمواضع النقد، وأشد جرأة على ارتياد آفاق صرفنا عن ارتيادها الدين أو التقاليد"[2].

وليس الأمر كما قال؛ فما كان الدين الحق يومًا من الأيام صارفًا عن البحث والتقدم العلمي، ولكنه الإعجاب المفرط بالمستشرقين، الذي يصرف صاحبه عن العدل في القول، ويؤدي به إلى الانحياز في الحكم.

ويمتدح محمد كرد علي أعمال المستشرقين فيقول: "وهكذا بدأ الاستعراب في الغرب، ونبغ فئات من بنيه في العربية وآدابها، وكانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة، وخدموها أجلّ خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة، وبوضع الفهارس المنوعة لها؛ ليسهل الانتفاع بها بسرعة، ومنهم تعلمنا هذه الطريقة، واعتادوا أن يشرحوا غوامضها بلغة الناشر أو باللغة اللاتينية لغة العلم المعتمد عليها إلى عهد قريب، فانتفعوا بما نشروا، ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة، بل بهم تجلّت مدنية العرب لأول مرة؛ لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر في إيطاليا وهولندا كتبًا عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة. ويكفي أن نقول: إن أوروبا طبعت كتبنا بالحروف العربية قبل أن تدخل الطباعة إلى القسطنطينية والقاهرة بمائتي سنة"[3].

---

[1] مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص45.

[2] صلاح الدين المنجد، المنتقى من دراسات المستشرقين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1955م، الجزء الأول، (ج) التمهيد.

[3] المستعربون من علماء الشرقيات، مجلة المجمع العربي، ص347، نقلًا عن: ميشال جحا، موقف العرب من المستعربين، 40/1.

المنارة للاستشارات

ولا شك بأنه يسجل لهم هذه الأسبقية والفضل في طباعة ونشر الكتب العربية، وهذه حقيقة تاريخية يحسن تأملها ودراسة دوافعها ونتائجها.

وعند مناقشة أقوال المادحين للمنهج العلمي للمستشرقين نجدهم قد تغافلوا عن زلات المستشرقين في هذا الباب؛ إذ عمد المستشرقون إلى تشويه تاريخ المسلمين من خلال الإعلاء من شأن الفرق المنشقة عن الإسلام والشخصيات المنحرفة كابن عربي والحلاج، والعمل على التركيز على تاريخ الفتن والانشقاقات، مع تمجيد الفرق والحركات والشخصيات الخارجة عن الإسلام، وتصوير تلك الفرق والشخصيات بأصحاب الفكر الحر.

وتثني بنت الشاطئ على أعمال المستشرقين في نشر المخطوطات فتقول: "نقابل صنيع من اشتغلوا منا بنشر المخطوطات، منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين، بصنيع المستشرقين، فتروعنا المقابلة، فأمانتهم في نقل النص يقابلها عندنا عبث بالنصوص يتناولها بالحذف والإضافة والتغيير.. ودقتهم في مقابلة النسخ الخطية للنص والتماس الأصالة فيها والتثبت من صحة نسبها يقابلها عندنا إغفال لذكر النسخة المنقول عنها أو إخراج طبعات ملفقة مرقعة تنسب إلى المؤلف القديم دون أن يتصل به نسبها.. وبدا واضحًا أن أكثر القوم هنا لم يقصدوا إلى شيء من النشر العلمي، ولا عناهم أن ينقلوا على أنفسهم ببعض أعبائه وتبعاته، ولا أن يضبطوا أقلامهم بشيء من نظمه ومناهجه، إنما أخذوا النشر وسيلة ارتزاق فحسب"[1].

وهنا يظهر في موقف بنت الشاطئ مقدار المبالغة في الثناء على جهود المستشرقين العلمية ومنهجهم العلمي، فأمانتهم ودقتهم يقابلها ضدها من الصفات في وصف جهود العرب والمسلمين في هذا المجال، ومع اتفاقنا مع الباحثة في الثناء العام على جهود المستشرقين وأسبقيتهم في هذا الباب، ولكننا لا نتفق معها في عبارات المبالغة، سواء في المدح أو القدح الذي ورد في عباراتها.

ويسجل لها موقف آخر تنبه فيه إلى المزاق المنهجية في الدراسات الاستشراقية إذ تقول: "وقد حدثتكم من قبل عما ندين لهم به من إنقاذهم لتراثنا المضيع ودأبهم على جمعه وتحقيقه وأشرت إلى دقة منهجهم في النشر بما يكفي لإنصافهم وبقي أن ألفت إلى ما يلقانا في دراسات كثير منهم من التواء الأساليب في توجيه العبارات واضطراب مناهجهم في سوق

[1] تراثنا الثقافي بين أيدي المستشرقين (محاضرات الموسم الثقافي الثالث"، الكويت 376هـ، ص307 نقلًا عن: ميشال جحا، موقف العرب من المستعربين، ص39.

المنارة للاستشارات

الأخبار واعتسافهم في تأويل النصوص لتعطي نتائج خطرة محرفة تمس عقيدتنا وتشوه تاريخنا وتؤيد مزاعم بعينها مما يروجه أعداء الإسلام والعرب والشرق"[1].

وأما زكي مبارك فيرى أن نفع المستشرقين أكثر من ضررهم فيقول: "إن خصوم الإسلام من المستشرقين خدموا الإسلام بخصومتهم أجلّ الخدمات، فقد عمدوا إلى القرآن والحديث فطبعوا كل ما يتصل بهما من جيد المؤلفات، وفهرسوها وبوبوها ورتّبوها ترتيبًا تعجز عنه مشيخة الأزهر الشريف"[2].

ولا شك في أننا نتفق مع زكي مبارك فيما ذكره من جهود متميزة للمستشرقين في مجال التحقيق والنشر، وإن كانت جهود الجامعات والمراكز العلمية العربية في هذا العصر قد فاقت أعمال المستشرقين وإن جاءت متأخرة.

ويؤكد محمد الصغير على الدافع العلمي للمستشرقين باعتباره الأعم الأغلب، وسواه شاذ، والشاذ لا يقاس عليه، فالهدف العلمي هو الهدف الأسمى لأغلبية هؤلاء المستشرقين[3].

ويثني محمد الصغير على تميز أعمال المستشرقين ودقتها بجانب ما بذلوه في جدية ومصابرة فيقول: "لقد لمسنا فيما مضى دقة ومرونة، دقة في الاستقراء، ومرونة في الاستنباط، والذي يعنينا بيانه هو: الجدية في العمل عند هؤلاء المستشرقين، والمثابرة والصبر على البحث الصادق، مما يدعونا إلى القول بعظيم ما حققوه من إنجاز وكبير ما قدموه من عطاء"[4].

ويفرق طيب تيزيني بين أنواع متعددة من الاستشراق، وينبه إلى أنه من الخطأ النظر إلى حركة الاستشراق كشيء متجانس، له نسيج نظري فكري سياسي اجتماعي واحد، ويتكلم عن نوعين من الاستشراق الإيجابي: فالأول: استشراق مستنير إنساني يبتعد عن العرقية والمركزية الأوروبية، والثاني: استشراق بورجوازي استعماري عنصري[5].

---

[1] تراثنا بين ماض وحاضر، دار المعارف المصرية، القاهرة، ص53.

[2] مجلة الهلال، ص327، نقلًا عن ميشال جحا، موقف العرب من المستعربين، 40/1.

[3] محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1406هـ - 1986م، ص20.

[4] المرجع نفسه، ص100.

[5] ينظر: من التراث إلى الثورة، ط2، بيروت، 1978م، ص211، نقلًا عن: حسام محيي الدين الألوسي، صور نقدية للاستشراق التقليدي والجديد، الاستشراق، سلسلة الثقافة المقارنة، دار الشؤون الثقافية العامة، 60/3.

المنارة للاستشارات

وقد أجاد في هذا التفريق بين الاستشراق الإيجابي والاستشراق السلبي الواقع تحت أهداف ومنطلقات أيديلوجية أو إمبريالية مشبوهة، مع ما عرف عن التيزيني من الإعجاب - إلى درجة المتابعة- بعدد من أساتذته الفرنسيين في موقفهم من الإسلام، وهذا ما دعاه إلى الهجوم على منتقدي الاستشراق وتسفيه آرائهم دفاعًا عن المستشرقين.

ولا شك بأن هناك كتابات غربية معتدلة إلى حد ما، وإن كان هذا الأسلوب غلب عليه المبالغة في وصف جهود تلك الفئة وما قدموه للإسلام.

ويلتمس الأعذار للمستشرقين في أخطائهم فيقول: "تنشأ من الفهم الخاطئ تأويلات معتمدة على الهوى والتحكم، ولا سيما بالنسبة إلى المستشرقين؛ لأنهم يشتغلون ببحوث هي بعيدة كل البعد عن روحهم الفطرية وتربيتهم الخاصة وعقليتهم المتعارضة بطبيعة تكوينها مع موضوعات بحوثهم"[1].

وهذا التنبيه يحسب للمستشرقين وعليهم، فلا شك بأن خلفياتهم الفكرية وتربيتهم الخاصة تحول دون فهمهم لبعض مقاصد الشريعة الإسلامية، ولكن في الوقت نفسه فيه تنبيه إلى عدم الوثوق فيما يصدرونه من أحكام على الإسلام نتيجة تأثرهم بخلفياتهم الفكرية والثقافية.

ويتحدث هشام جعيط عن تطور النظرة الغربية للإسلام من النظرة القروسطية (القرون الوسطى) إلى النظرات الحديثة، فيبدأ بعرض تلك النظرة القروسطية بأن أصل العداء اليهودي للدعوة المحمدية كان نتيجة الشعور بالازدراء، يغذيه إحساس بالتفوق الديني تجاه أي دين آخر[2].

ثم يشير إلى أسس العداء المسيحي للإسلام بأنها عداوة وخلاف، فقد أصيب الغرب المسيحي بجسده ونفسه بين القرنين الثامن والعاشر بآخر امتدادات الفتح العربي، فمن هذه التجربة استمد الوعي الغربي القروسطي الأسس الانفعالية لعدائه للإسلام[3].

ويؤكد أن الكنيسة مثلت الاتجاه المعادي للإسلام بزعمها التفوق على الإسلام، مع سطحية معرفتها بحقيقة الإسلام قبل أن يظهر الاتجاه العلماني اللاديني في الغرب، والذي بدأ ينظر للإسلام برؤية فيها عمق[4].

---

[1] المرجع نفسه، 21-22.

[2] ينظر: أوروبا والإسلام، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1995م، ص10.

[3] المرجع نفسه، ص.11.

[4] المرجع نفسه، ص.16.

المنارة للاستشارات

ويعرض سالم حميش موقف هشام جعيط من الاستشراق من خلال مقال: سيكولوجيا الاستشراق في كتابه: "أوروبا والإسلام"، إذ يتعرض المقال بمقاربة جيدة إلى نفسية المستشرق كما يصوغها ويحركها موقعه وتخصصه ومناهجه، ويرى المحلل أن المستشرق المتعمق في الدراسات الإسلامية كثيرًا ما يكون ميالًا إلى الإقامة المريحة في الانتماء الأوروبي الكلي، وبالتالي إلى تأكيد نموذجية قدر أوروبا[1].

ولا يفوت هذا الموقف النفسي أن ينعكس سلبًا على مناهج ودراسات المستشرق المقارنة؛ بحيث يخرج ماضي أوروبا بوجوهه ومبادئه الروحية متفوقًا منتصرًا، إذا اعتبرنا حالة المستشرق وردوده النفسية فإننا ندرك بأنه يوجد في وضع حرج قد لا يحسد عليه، وذلك لكونه لا يدري في آخر المطاف إلى أي جمهور من القراء يتوجه[2].

ويؤكد جعيط بأن وجود الاستشراق كان مشروطًا بعجز العالم الإسلامي عن معرفة نفسه، فهو في حد ذاته علامة على وصاية فكرية وعلى تخفيض منزلة الشرق[3].

وهذا تنبيه جيد، ويشهد له الواقع بضآلة نسبة ما كتبه المسلمون للتعريف بدينهم وحقوقهم ومجتمعاتهم بكتابات بلغات الغرب، وبأسلوب علمي دقيق يرقى إلى كتابات إدوارد سعيد وغيره ممن وجدت كتاباتهم صدى كبيرًا في المجتمعات الغربية.

فمن خلال تتبع أقوال المادحين لجهود المستشرقين نجد معظمهم يرتكز على جهودهم في جمع المخطوطات وحفظها، وفهرستها وتحقيق عدد منها، ولا شك بأنها جهود مشكورة في غالبها، ولكن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة وتحقيق، وقد سبقنا إلى ذلك عدد من الباحثين[4].

ولعلنا نستعرض أبرز ما توصلوا إليه في هذا الموضوع وإن كانت لا توجد دراسات دقيقة عملت على حصر أعمال المستشرقين، يسجل للمستشرقين أسبقيتهم في جمع التراث وتحقيقه ونشره وهذا لا جدال فيه، ومن الثابت تاريخيًا أن التراث الإسلامي ظل مغمورًا أو ضائعًا بيد أشخاص لا يعرفون قدره، إلى أن جاءت حركة الاستكشافات والرحالة والذين يمثلون أوائل المستشرقين، فكان لهم فضل السبق في جمع التراث وحفظه ونشره.

---

[1] ينظر: الاستشراق في أفق انسداده، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المغرب، ط1، 1991م. ص98.

[2] ينظر: المرجع نفسه ص99.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص100.

[4] عبد العظيم الديب، المستشرقون والتراث، وبسام داود عجك، التراث الإسلامي والاستشراق، ومحمد عوني عبدالرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة.

المنارة للاستشارات

فأما مسألة مقدار ما جمع المستشرقون من المخطوطات وحفظوه فلا يقارن البتة، وبعد استعراض مواقف المؤيدين للحركة الاستشراقية وتحليلها نناقش في الفصل القادم مواقف أبرز المعارضين والناقدين .

الفصل الثاني: موقف المفكرين العرب المعارضين للحركة الاستشراقية:

عمد عدد من المفكرين العرب إلى انتقاد أعمال المستشرقين والطعن في مناهجهم وإبراز سلبياتهم، مع تفاوت بينهم في أسلوب ومقدار النقد الموجه للمستشرقين، إذ بالغت طائفة منهم في نقد المستشرقين، واتهمتهم بخدمة الاستعمار والتنصير، ووصفتهم بأسوأ الأوصاف، وجاء في مقدمة هذه الطائفة: أحمد غراب، والطيباوي، والطهطاوي، وحسين الهراوي، وأنور الجندي، ومحمد البهي، وغيرهم. وجاءت طائفة أخرى من ناقدي الاستشراق دون السابقة في حدة النقد، مبينة أخطاء المستشرقين ومزالق منهجياتهم، مع إشارات إلى بعض جهود المستشرقين العلمية، وإن كان لم يسلم عرضهم لتلك الجهود من النقد والتشكيك في تلك الجهود العلمية، ومن أبرزهم: أبو الحسن الندوي، ومصطفى السباعي، ومحمود زقزوق، وعجيل النشمي، ومحمد خليفة حسن، ومازن مطبقاني، وغيرهم.

وأما الطائفة الثالثة من الناقدين فكان نقدها للحركة الاستشراقية أكثر عمقًا وأوسع انتشارًا وتأثيرًا، ويأتي في مقدمتهم: إدوار سعيد، ومالك بن نبي، وأنور عبدالملك، وقد كان لكتاباتهم صدى كبيرٌ، إذ ظهرت كتابات عديدة بين مؤيدة ومعارضة لمواقفهم؛ وسنعمل على بيان ما نتفق فيه وما نختلف معه من مواقف الناقدين للحركة الاستشراقية، مع الحرص على التعليق على المواقف المتشابهة في موطن واحد، والتعليق على كل موقف على حدة إذا اقتضى الأمر؛ ونبدأ بعرض موقف الطيباوي من الحركة الاستشراقية، والذي تميز عن كثير من الناقدين العرب بإجادته للغة عدد من المستشرقين، وقضى جل حياته في مجتمعاتهم، وعمل في جامعاتهم، وخالط وناقش عددًا من المستشرقين، وسبر وتعرف على خلفياتهم ومنطلقاتهم.

يؤكد الطيباوي في بداية كتابه على التعاون بين الاسشتراق والتنصير فيقول: "ومنذ البداية كان هناك تجاوب متبادل -إن لم يكن هناك تماثل- في المقصد بين المستشرق الأكاديمي والمبشر الإنجيلي"[1].

[1] المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ترجمة: قاسم السامرائي، مطابع جامعة الإمام، الرياض، ط1، 1411هـ، ص23.

المنارة للاستشارات

ويؤكد عدم وجود الإنصاف مطلقًا من المستشرقين الذين يوصفون بالإنصاف إذ يقول: "فإن المستشرقين الذين توصلوا مع أنفسهم إلى التوافق على قبول صدق محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بأنه دعا إلى دين جديد تميز تميزًا جوهريًا، يعودون ليؤكدوا في الوقت نفسه أن رسالة محمد ﷺ لم تكن كلها من مصدر إلهي"[1].

ويشير الطيباوي إلى أن المستشرقين -وخصوصًا البروتستانت منهم- لم يستطيعوا أن يحرروا أنفسهم مما يمكن تسميته بحتمية الإصلاح، والعمل على جعل الإسلام أقرب بقدر الإمكان إلى النصرانية البروتستانتية[2].

ويؤكد بأن أكثر الكُتَّاب الذين كتبوا حول الإصلاح في الإسلام لم تكن كتاباتهم مهمة فحسب، بل تغلب عليها الغطرسة ونزعة الاستعلاء أيضًا، فهم يتهمون المفكرين المسلمين المعاصرين بالسطحية العلمية، بل وأحيانًا بضعف الثقة الروحية بالنفس[3].

وينتقد سالم حميش موقف الطيباوي من الاستشراق من خلال تسليطه الضوء على طائفة المتعصبين ضد الإسلام دون غيرهم، إذ يقول: "نراه لا يتخذ له كمحاورين ناطقين بالإنجليزية إلا أسماء من الدوائر المسيحية اللاهوتية، كالراهب اليسوعي هنري لامانس وغيره"[4].

ونحن نتفق مع سالم حميش في أهمية أن تكون الأمثلة التي تقوم عليها دراسة الحركة الاستشراقية ممثلة لأطياف المستشرقين، ولا تقف عند طيف واحد، كاختياره المستشرق اليسوعي لامانس، والذي يعد من رجال الكنيسة المتعصبين تجاه الإسلام، فكان من المستحسن تنوع تلك الأمثلة، مع موافقتنا للطيباوي في تأكيده على خطورة أطروحات هذا المستشرق وشدة عداوته للإسلام.

---

[1] المرجع نفسه، ص34.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص46.

[3] المرجع نفسه، ص52.

[4] الاستشراق في أفق انسداده، مرجع سابق، ص95.

المنارة للاستشارات

ويؤكد محمد عزت الطهطاوي على الدور التبشيري للمستشرقين فيقول: "أما هؤلاء المبشرون والمستشرقون فإنهم لا يرعون لله حرمة، ولا يحفظون للشعوب التي يذهبون إليها ويعيشون بين أهلها ذمة، بل تراهم يحيكون المؤامرات والفتن، ويثيرون العداوة والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد"[1].

مع تقديرنا لجهود الطهطاوي في التحذير من خطر الاستشراق والتبشير إلا أن خطابه جاء عاطفيًا لا يخلو من المبالغة والتعميم، وهذا ما يظهر من قوله: "جميع المستشرقين هم تبع لوزارات الخارجية في كل البلاد القائمة على الاستعمار؛ مما يدل على أن مهمتهم سياسية وليست ثقافية، فإذا هم خدّام الاستعمار عن طريق تشكيك العالم الإسلامي في عقيدة أهله"[2].

والحديث عن دور عدد من المستشرقين في خدمة بلدانهم الاستعمارية متفق عليه، وحقيقة لا يمكن إنكارها؛ ولكن ليس معنى ذلك الجزم بأن هذا الحكم يصلح أن يعمم على جميع المستشرقين كما ذكر الطهطاوي.

وينكر أحمد غراب وجود دراسات استشراقية موضوعية، ويستدرك على من يصفهم بالموضوعية والإنصاف فيقول: "ومن الواضح أن هذا زعم باطل، بل هو ضلال وتضليل للمسلمين"[3].

وهذا الموقف مثال على عدم الموضوعية في النقد؛ إذ حكم على جهود المستشرقين جميعًا بهذا الحكم مع عدم تتبعه لكل أعمالهم.

ويهاجم حسين الهراوي المستشرقين قائلًا: "إن المستشرقين هم طلائع المبشرين، وإنهم هم الذين يمهدون السبيل لتشكيك المسلمين في عقائدهم، وإنهم هم الذين يمهدون للمبشرين سبيل الطعن في الإسلام وفي نبيه الكريم، وإنهم هم الذين يزودونهم بأنواع شتى من الشعوذة العلمية باسم الاستنتاج التحليلي والنقد الفني وحرية الفكر والمباحث العلمية الحرة"[4].

---

[1] التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي محمد ﷺ وبلاد الإسلام، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، 1397هـ1977م، القاهرة، المقدمة.

[2] المرجع نفسه، ص38.

[3] رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن، ط2، 1411هـ، ص79.

[4] المستشرقون والإسلام، القاهرة، مطبعة المنار، 1936م، ص72.

المنارة للاستشارات

وجاءت كتابات الهراوي في السياق نفسه الذي نادى إليه أنور الجندي بالتحذير من الاستشراق وبيان خطورته وعلاقته بالتنصير، دون مناقشة كنه الاستشراق ومسيرته الفكرية، ولم يسلم موقفه من إيراد الألفاظ العامة التي قد لا تليق بالبحث العلمي كوصف أعمال المستشرقين بالشعوذة العلمية.

وناقش مصطفى السباعي شبهات المستشرقين المشككة في حجية السنة والطاعنين في رواة الحديث، جاء ذلك من خلال الرد على الفرق والاتجاهات الطاعنة في السنة، مع بيان أثر تلك الاتجاهات المنحرفة في بعض الكتاب المعاصرين في موقفهم من السنة[1].

وفي بحث آخر عمد إلى بيان إيجابيات وسلبيات الاستشراق والمستشرقين[2].

وهو إن جاءت كتاباته عن الاستشراق والمستشرقين محدودة، إلا أنها تميزت في الغالب بالاعتدال في الحكم على أعمال المستشرقين، وخصوصًا بعد أن تمكن من الالتقاء ببعضهم وحاورهم وناقشهم كما ذكر.

ويتوسط أبو الحسن الندوي في حكمه على الاستشراق، إذ يذكر للمستشرقين جهودهم في دراسة العلوم الإسلامية، وبأن عددًا من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الإسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات، وبذلوا فيه جهودا ضخمة، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم تر ضوء الشمس منذ قرون إلى النشر والإذاعة، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين وعاهة الأرض، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية لها مكانتها وقيمتها صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم، وقرت بها عيون العلماء في الشرق[3].

ويشكر للندوي اعترافه بأسبقية المستشرقين في حفظ التراث وتحقيقه ونشره، وإن كانت عباراته لم تسلم من أسلوب المبالغة.

ومع اعترافه بجهود المستشرقين العلمية يذكر بأن طائفة من المستشرقين كان دأبها تعمد إبراز مواضع الضعف في الحضارة والتاريخ الإسلامي لأجل غاية سياسية أو دينية[4].

---

[1] ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط4، 1405هـ.

[2] ينظر: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، ط3، 1405هـ - 1985م.

[3] ينظر: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، ط2، 1403هـ، ص13.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص15.

المنارة للاستشارات

وينبه إلى خطأ منهجي يقع فيه بعض المستشرقين، وذلك بأنهم يعينون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون بجمع المعلومات التي تؤيدها[1].

ومن الدراسات النقدية لمسيرة الاستشراق دراسة مالك بن نبي عن الحركة الاستشراقية في بحثه: "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، والذي كان له الأسبقية في التنبيه إلى خطورة أثر المادحين من المستشرقين على حياة المسلمين الفكرية، وبأنها في بعض الأحوال أشد أثرًا من خطورة أثر القادحين، وإن كان لم ينف خطورة الفريق الثاني.

ويؤكد خطورة الخطاب الاستشراقي بنوعيه المادح والمنتقد على الإنتاج الفكري للعرب والمسلمين فيقول: "كان شرًا على المجتمع الإسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان، سواء في صورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا"[2].

ولا نشك بأنه لا يريد التقليل من أهمية ماضي المسلمين وما تحقق فيه من أحداث وإنجازات غيرت مسار التاريخ، وإنما قصد أن لا نتوقف عن الإنجاز.

ويرى أنور عبدالملك بأن من أخطاء المستشرقين نظرتهم للإسلام كمركب ثقافي يمكن دراسته كجوهر متكامل بعيدًا عن اقتصاديات الشعوب الإسلامية وحياتها الاجتماعية ونظمها السياسية، إلى أن جاء علماء الاجتماع والإثربولوجيا الذين اهتموا بالإسلام، واتبعوا في دراسته مناهج جديدة تعالج الإسلام كظاهرة دينية واجتماعية شديدة التعقيد، ووجدوا كم أخطأ المستشرقون[3].

ويمتدح سالم حميش مقالة أنور عبدالملك ويذكر: "بأن الأفكار التي يسوقها عبدالملك في وصف وتفسير أزمة الاستشراق لا تخلو من أهمية وجاذبية، لا سيما إن أرجعناها إلى إطار تحركها الذي هو إطار السجال ورد الفعل النقدي، مع أنها لا تخلو من العيوب والمزالق إذا نظرنا إليها من زاوية النظرة الشمولية الموضوعية"[4].

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص16.

[2] القضايا الكبرى، دار الفكر، سوريا، ط.1، 1991م، ص.181.

[3] ينظر: الاستشراق في أزمة، ترجمة: حسن قبيسي، مجلة: الفكرة العربي، ع.31، مارس 1983م، معهد الإنماء العربي، بيروت، ص.74.

[4] الاستشراق في أفق انسداده، مرجع سابق، ص.97.

المنارة للاستشارات

وينتقد حسن حنفي منهجية المستشرقين مشيرًا إلى أن النعرة العلمية التي تقوم عليها مناهج المستشرقين تعني دراسة الظاهرة الفكرية كظاهرة مادية خالصة، وكتاريخ خالص مكون من شخصيات وأنظمة اجتماعية وحوادث تاريخية محضة، يمكن فهمها بتحليلها إلى عوامل مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية، تحدد نشأتها وطبيعتها، وتحاول ابتداء من هذه العوامل المتفرقة تركيب الظاهرة بدعوى تفسيرها. وهكذا تفقد الظاهرة طابعها المثالي، وتنقطع عن أصلها في الوحي، وعن أساسها في الفكر والواقع، وتصبح ظاهرة مادية خالصة، لها أصلها في التاريخ الذي أعطاها أساسها، وفي المجتمع الذي أعطاها طبيعتها[1].

وينتقد حسن حنفي منهج الأثر والتأثر لدى المستشرقين فيقول: "يقوم منهج الأثر والتأثر بالمهمة الباقية، وهي القضاء التام على ما تبقى من الظاهرة، مفرغًا إياها من مضمونها، ومرجعًا إياها إلى مصادر خارجية في بيئات ثقافية أخرى، دون وضع أي منطق سابق لمفهوم الأثر والتأثر، بل بإصدار هذا الحكم دائمًا بمجرد وجود اتصال بين بيئتين ثقافيتين، وظهور تشابه بينهما، مع أن هذا التشابه قد يكون كاذبًا، وقد يكون حقيقيًا، وقد يكون لفظيًا، وقد يكون معنويًا"[2].

وحول نشأة المنهج يقول: "ويرجع منهج الأثر والتأثر إلى نشأة المستشرقين في بيئة ثقافية خاصة، وهي البيئة الأوروبية التي تخضع ثقافتها للأثر والتأثر، فقد نشأت الحضارة الأوروبية ابتداء بالبعث اليوناني في أوائل عصر النهضة وإحياء التراث العقلي القديم لإنقاذها من قطعية اللاهوت وسلطان الكنيسة"[3].

وقد دعا إلى الاهتمام بدراسة الغرب من الداخل فيما أسماه: الاستغراب؛ باعتبارها أفضل وسيلة لمواجهة الفكر الغربي[4].

ومن الدراسات التي أشارت إلى مسيرة الاستشراق ومستقبله مقالة وليد نويهض حول أزمة الاستشراق، يُفرق فيها في حكمه على نهاية الاستشراق بين سياقين: المعرفة كبنية فكرية، والمنهج كآلة تفكير؛ إذ يشير إلى أن السياق الأول فقد وظيفته، وأما السياق الثاني

---

[1] ينظر: التراث والتجديد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط.1، 1981م، ص.61.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص.78.

[3] المرجع نفسه، ص.80.

[4] ينظر: حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب.

المنارة للاستشارات

والمتمثل في المنهج كآلية تفكير فهو ما زال يفرض حضوره، فنهاية الجانب الوظيفي لا يعني نهاية المنهج الاستشراقي[1].

ويؤكد بأنه يجب التمييز بين الاستشراق كتاريخ والاستشراق كنظرية معرفة وكمنهج تحليل لشخصية الآخر المختلف؛ إذ تطور الاستشراق من الاحتكاك إلى المعرفة ومن العقلية الأسطورية الخرافية عن الإسلام والمسلمين إلى علم ومنهج له آليات مستقلة[2].

وكانت كتابات إدوارد سعيد من أبرز هذه الأطروحات في هذا الميدان، فقد لاقت كتاباته رواجًا واسعًا وصدى كبيرًا، وخلفت مؤلفاته نقاشات أكاديمية هائلة وردود أفعال واسعة بما تميزت به من عمق فكري وتأصيل علمي منهجي، وما احتوته من بيان حقيقة الاستشراق وكنهه ومناهجه ومنطلقاته، وعلاقته بالاستعمار، ووصفه لواقع الاستشراق بأنه أسلوب للهيمنة على الشرق، يقوم على ادعاء فوقية الغربي مقابل دونية الشرقي، وعجز الشرقي على تمثيل نفسه؛ مما حدا بالغربي إلى تمثيله وفرض السيطرة عليه، فكانت الدراسات الاستشراقية تبريرًا للاستعمار الغربي لبلاد المسلمين، كما بين ذلك إدوارد سعيد في عدد من كتبه[3].

وقد برز موقف سعيد من الحركة الاستشراقية جليًا من خلال عدد من كتبه، والتي بين فيها علاقة الشرق بالغرب، ويأتي في مقدمتها في هذا المجال كتابه "الاستشراق"، والذي لاقى انتشارًا واسعًا وردود فعل كبيرة ونقاشات فكرية واسعة، بدأ فيه بتحديد مفهوم الاستشراق بأنه: أسلوب من الفكر، قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب[4]. وهو أيضًا: أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه[5].

---

[1] مقال: نهاية الاستشراق، وليد نويهض، جريدة الحياة، الثلاثاء 27أيلول/سبتمبر 1994م، الموافق ربيع الأول1415هـ، ع. 11545، ص.18.

[2] المرجع نفسه، ص. 18.

[3] ينظر: محمد السرحاني، إدوراد سعيد وموقفه من الاستشراق، مجلة كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، العدد التاسع، رجب 1433هـ، ص.157.

[4] ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء) ترجمة: كمال أبو الديب، بيروت، ط.2، ص.38.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص.39.

المنارة للاستشارات

وفي موطن آخر يصف الاستشراق بأنه: "معرفة بالشرق تضع الشرقي في قاعة التدريس في محكمة، في سجن، أو في دليل موجز، لأغراض التحليل المدقق والدراسة والمحاكمة والتأديب أو الحكم"[1].

ويؤكد سعيد بأن الاستشراق عمل على تسويغ وتبرير الحكم الاستعماري، إذ تحول من إنشاء بحثي إلى مؤسسة إمبريالية[2].

ومن خلال المفاهيم السابقة لحقيقة الاستشراق من وجهة نظر سعيد تبرز معالم الاستشراق بأنه أسلوب للهيمنة على الشرق، يقوم على صورة خيالية عن الشرق، تدعي الفوقية الغربية مقابل الدونية للشرق.

وحول مواجهة الاستشراق يشير سعيد إلى أهمية إنشاء مؤسسات ومراكز لدراسة الغرب، تقارع مراكز الدراسات الاستشراقية في الغرب، دون الانزلاق إلى استغراب معكوس يشابه مناهج المستشرقين، وفي ذلك يقول: "إنها لصدمة موقظة أن نجد على سبيل المثال أنه فيما توجد عشرات من المنظمات لدراسة الشرق العربي والإسلامي في الولايات المتحدة، فليس ثمة مؤسسة واحدة في الشرق لدراسة الولايات المتحدة، وهي أعظم المؤثرات الاقتصادية والسياسية إطلاقًا في المنطقة"[3].

ومع ما لاقته أطروحة سعيد من تأييد وثناء، فقد ووجهت بعدد من الدراسات النقدية فيما كتبه مكسيم رودنسون وبرنارد لويس، بل وحتى من عدد من الذين أغاظهم نقد سعيد لاستشراق ماركس، أمثال: عزيز العظمة، وصادق جلال العظم، وعبد الله العروي، وغسان سلامة، ومهدي عامل[4].

لقد تميز نقد سعيد للاستشراق بصدوره من المنابع نفسها التي أحدثها المستشرقون، ومنطلقًا من معرفة واضحة بمناهجهم ومنطلقاتهم وخلفياتهم، وبلغتهم، بل تعدى ذلك إلى استخدام لغة أدبية عالية التأثير والإقناع، وببلاغة خطابية متميزة.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص.71–72.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص.72.

[3] المرجع نفسه، ص.321.

[4] ينظر: نديم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي، دار الفارابي، بيروت، ط.1، 2005م، ص.92.

المنارة للاستشارات

الفصل الثالث: أبرز ملامح المنهجية العلمية لتقييم الحركة الاستشراقية:

بعد استعراض مواقف المؤيدين والمعارضين للحركة الاستشراقية، نأتي إلى الفصل النقدي الأخير، والذي نسعى فيه إلى الوقوف على المنهجية العلمية في دراسة الحركة الاستشراقية، وذلك بالتأكيد على إيجابيات الموقفين السابقين، والعمل على تجاوز سلبيات تلك المواقف؛ للوصول إلى أبرز ملامح المنهجية العلمية في دراسة الموقف من الاستشراق، وما ينبغي أن يكون عليه الموقف العلمي من الدراسات الاستشراقية.

وقد يتبين من خلال استعراض مواقف المؤيدين والمعارضين للحركة الاستشراقية وقوع معظم تلك المواقف في أسر الخلفيات الفكرية والدينية والثقافية التي ينطلقون منها، وجاءت معظم الردود تغلب عليها العاطفة وتفتقر إلى الموضوعية.

وقد طغى على معظم الدراسات المؤيدة والمعجبة بالمستشرقين والفكر الاستشراقي التأييد المطلق لكل آراء المستشرقين، دون التمييز بين المنصف والمجحف، وكأن تلك المواقف جاءت رد فعل للطرف الآخر الناقد للاستشراق، فقد أخذهم التعصب للمستشرقين ورغبة الدفاع عنهم إلى تمجيد المستشرقين والتغاضي عن زلاتهم، فكانت تلك المواقف أبعد ما تكون عن الدراسة العلمية.

ولم يفرق المادحون للحركة الاستشراقية بين الأهداف العلمية والسياسية والدينية للمستشرقين، إذ جاء التركيز في معظم مواقفهم على إبراز الأهداف العلمية للمستشرقين، وتجاهل الأهداف الدينية والسياسية للحركة الاستشراقية.

وقد غلب على المواقف المؤيدة للاستشراق تبرئة المستشرقين من الوقوع في أي أخطاء منهجية، وتزكية منهجياتهم، وكيل المديح والثناء على منهجهم في الدراسة، والتأكيد على دقة منهجياتهم وسلامة استنباطاتهم واستنتاجاتهم، مع التنقص من المنهجية العربية والإسلامية في المجال نفسه.

وقد بالغ المؤيدون للاستشراق عند وصف الجهود الاستشراقية في جمع التراث وتحقيق المخطوطات ونشره، وتعمد التغاضي عن عدد من المزالق والأخطاء في باب التحقيق والنشر والدراسة، كما ورد في موقف عدد من الباحثين في جمع التراث[1].

[1] ينظر: ص. 12، 17، 22.

المنارة للاستشارات

أغدق عدد من المعجبين بالاستشراق على المستشرقين بصفات المدح والثناء في المجال البحثي، مقابل صفات الانتقاص لجهود العرب والمسلمين في المجال نفسه، فتجد وصفهم للمستشرقين بالأمانة في نقل النصوص يقابله عبث بالنصوص لدى المسلمين، ودقتهم في مقابلة النسخ الخطية والتثبت من صحة نسبتها يقابله عشوائية في عمل المسلمين، وغيرها من الأوصاف المبالغ فيها. وقد ظهر جليًا ذلك فيما أورده العليان[1] ومحمد كرد علي[2].

تجاهل المؤيدون الرؤية الاستشراقية الموغلة في الخيال والتشويه للتاريخ الإسلامي، والتي ظهرت خصوصًا في القرون الوسطى.

وقع بعض المعجبين بالدراسات الاستشراقية تحت تأثير تجارب شخصية في امتداحهم لجهود ومناهج المستشرقين، كان من أبرزها التتلمذ على أيدي أولئك المستشرقين ومعايشتهم ومخالطتهم والمشاركة معهم في أبحاث علمية، طغت تلك التجارب الشخصية بما تحمله من علاقات خاصة على تقييمهم لتلك الدراسات، وقد ظهر ذلك جليًا في ثناء عدد ممن تتلمذوا على أيدي المستشرقين ممن أوردنا موقفهم، ومنهم طه حسين وإبراهيم مدكور[3].

بالغ بعض الدارسين للحركة الاستشراقية في امتداح الصفات الشخصية للمستشرقين من التعميم في وصفهم بالجدية في العمل والمثابرة والصبر والتفاني في مجال البحث، وإحاطتهم باللغات، والموضوعية، والمصداقية في الوصف والتحليل والدراسة، ويظهر ذلك في موقف عدد من المادحين، ومن ذلك الثناء المفرط لمحمد كرد علي في وصفه للمستشرقين بالأمانة وتحرّي الحق[4].

المبالغة في الثناء على مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام، ووصفهم بأنهم أكثر إحاطة بالمصادر، وأبصر بمواضع النقد، وأكثر تحر للدقة والأمانة العلمية، كما ورد في موقف محمد الصغير[5].

---

[1] ينظر: ص.19 .

[2] ينظر: ص. 19 .

[3] ينظر: ص. 16، 26.

[4] ينظر: ص. 18.

[5] ينظر: ص. 24.

المنارة للاستشارات

انتقاص جهود العرب والمسلمين في مجال التحقيق والنشر والدراسة، وعدم التفريق بين المراحل التي مرت بها الحركة العلمية في البلاد العربية من نشاط وفتور.

التماس الأعذار للمستشرقين عند الوقوف على أخطائهم، مقابل تضخيم أخطاء المسلمين في المجال نفسه.

وفي المقابل لم يتمكن بعض الناقدين من المعارضين للحركة الاستشراقية من تجاوز أسباب نشأة الاستشراق في حكمه على الدراسات الاستشراقية المعاصرة، إذ ما زال الحديث عن النشأة الكنسية للاستشراق والدوافع الإمبريالية حاضرة في كل قضية، حتى وإن كانت بعيدة كل البعد عن تلك المنطلقات والدوافع.

ومما يؤخذ على بعض الكتابات أن بعض الناقدين يكتب من موقف المدافع دون استلام زمام المبادرة بنقد منطلقات المستشرق نفسه، والتعرف على خلفيات المستشرقين التي لا ينفكون عنها، كما أكد مدى أثر تلك الخلفيات عدد من الباحثين، وفي ذلك يقول محمد أسد: "وبما أن هؤلاء المستشرقين ليسوا سلالة خاصة، ولكنهم طلائع مدنيتهم، وطلائع بيئتهم الاجتماعية، فإننا من أجل ذلك يجب أن نصل ضرورة إلى أن نستنتج أن في العقل الأوروبي على العموم -بسبب ما- ميلًا على الإسلام بما هو دين وبما هو ثقافة. إن سببًا واحدًا لذلك يمكن أن يعزى إلى الإرث الذي قسم العالم يومذاك "أوروبيين" و"برابرة"، وأما السبب الآخر وهو أشد صلة مباشرة بالإسلام، فيمكننا أن نتتبعه إذا ولينا أبصارنا شطر الماضي، وخصوصًا إلى تاريخ العصور الوسطى"[1].

وقد جاءت بعض الدراسات الناقدة للفكر الاستشراقي ضمن جهود الدفاع عن الهوية العربية والإسلامية تجاه حركة التغريب، وردة فعل للأحداث المصاحبة لحركة الاستعمار الأوروبي، فكانت تلك الجهود امتدادًا لحركة المقاومة تجاه الاستعمار والتغريب.

وكانت بعض الدراسات الناقدة للاستشراق في إطار الدفاع عن القومية العربية، ويؤكد نديم نجدي على دور القومية العربية في ردة الفعل ضد الاستشراق إذ يقول: "ربما لم تجد المواقف الهادئة والمتزنة بين الطرفين صدى بسبب حدة الرد والرد المضاد، خصوصًا في فترة الخمسينات مرحلة نهوض الحركات القومية العربية، تلك المرحلة التي ساد فيها خطاب تعبوي حمّل الغرب مسؤولية تأخر الشرق عن ركب الحضارة العالمية، ففي حمى سعير هذه النزعة المعادية للغرب انصبت الردود على الاستشراق باعتباره يشكل جذرًا تاريخيًا لاستعمار

[1] الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، 1946م، ص.52.

المنارة للاستشارات

العالم العربي، من دون تمييز بين مستشرق وآخر، فأصبح الاستشراق بمثابة الوجه الآخر للاستعمار، يحتم رفضه مواجهة الاستشراق بشدة وفق معادلة فيها من المفارقات ما يثير العجب، ذلك أنها تجمع بين القبول بما يحققه المستشرقون في تراثنا الفكري والأدبي، ورفض ما نقلوه إلينا فقط لكونهم مستشرقين. إن الأجواء السياسية المشحونة ضد الغرب لم تسمح بتقييم النتاج الأدبي والفكري للاستشراق بطريقة علمية؛ لأن التراشق الكلامي طال كل المحاولات الرامية إلى النظر الموضوعي في مضمون الاستثمارات الاستشراقية"[1].

فغلب على تلك الجهود الهجوم على المستشرقين وبلدانهم الاستعمارية أكثر من الاهتمام بنقد الاستشراق وتفكيكه وتحليل البنية الاستشراقية.

وقد تجردت بعض الكتابات الناقدة للاستشراق عن أخلاقيات البحث العلمي والنقاش الهادف باحتوائها على عبارات القذف والتجريح والشتيمة، بعيدًا عن آداب الحوار والمناقشة، وظهر ذلك في مواقف غلب عليها الحماس في الدفاع عن الإسلام، كما ورد في كتابات بعض الناقدين كأسلوب الطيباوي في وصفه لمواقف المستشرقين[2].

ويلاحظ تسابق الباحثين في مجال المشاركة في نقد الاستشراق وتوسيع تلك المشاركات حتى أصبحت ظاهرة ينتهجها كل من أراد إنجاز بحث علمي، وسواء كان متخصصًا أو غير متخصص، مطلعًا على لغات المستشرقين وكتاباتهم أو لم يكن كذلك؛ مما أنتج دراسات مكررة تفتقد للقيمة العلمية، وهذا ما يؤكده السيد الشاهد بقوله: "كثر الحديث في العقدين الأخيرين من هذا القرن العشرين عما يسمى في بلادنا: ظاهرة الاستشراق، شارك فيه المتخصص وغير المتخصص، من يعرف لغات الاستشراق ومن لم يعرفها، فجاء معظم الحديث نقول عن نقول، أُخذت عن ترجمات فيها الصواب والخطأ، وأصبح ميدان الاستشراق -أو كاد- حلًا لمن أراد التأليف السريع، ولا يتطلب من طالبه سوى جمع بعض ما سبق، وتوليفة وتزيينه بعناوين جذابة ترضي ذوق متوسطي الثقافة"[3].

---

[1] أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد وحسن حنفي، وعبد الله العروي، الفارابي، بيروت، ط.1، 2005م.

[2] ينظر: ص.35.

[3] الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع22، 1994م، ص191.

المنارة للاستشارات

وظهر ذلك جليًا في تساهل الأقسام العلمية في عدد من الجامعات العربية في تسجيل عدد من الرسائل العلمية لدارسين تنقصهم اللغة الغربية للاطلاع على كتابات المستشرقين، ولا يجيد بعضهم منهجية مناقشة مواقف المستشرقين، مع عدم التدقيق في الدراسات السابقة عند الموافقة على تسجيل الموضوعات؛ مما نتج عنه كثرة الكتابات المكررة في أكثر من جامعة بالعنوان نفسه.

من أخطاء بعض الدراسات الناقدة تصوير الاستشراق بأكمله بالمؤامرة الكنسية الصهيونية الإمبريالية ضد المسلمين بإطلاق الأحكام العامة، دون تفريق بين مستشرق وآخر، ولا بين مرحلة استشراقية وأخرى، وظهر ذلك جليًا في كتابات عدد من الناقدين، ومنهم محمد عزت الطهطاوي وأحمد غراب[1].

يكتب بعض الناقدين للاستشراق من منطلق عدم أحقية المستشرقين في دراسة وتقييم التراث الإسلامي لمجرد اختلاف الدين والثقافة، فلا يقبل منهم حتى وإن حالفهم الصواب في بعض دراساتهم.

غلب على العديد من الدراسات الناقدة للاستشراق الدراسات الوصفية للمدارس الاستشراقية أو للمستشرقين، أو دراسات ببلوغرافية أكثر من كونها تحليلًا ودراسة ومناقشة، وهذا ما أشار إليه ناجي في نقده للموقف من الاستشراق[2].

تجاهلت بعض الدراسات الناقدة الجهود المنصفة لبعض الكتاب الغربيين لمجرد اختلاف عقيدتهم، مع التمجيد المفرط لبعض من أسلم من الكتاب الغربيين والتغافل عن زلاتهم لكونهم أسلموا، كالموقف من محمد أسد مع أن كتاباته تكتسب أهمية كبيرة لكونه مطلعًا ومعايشًا على خلفيات المستشرقين، وعالمًا بلغاتهم إذ كان واحدًا منهم قبل أن يعتنق الإسلام، وقد لاقت كتاباته شهرة وصدى كبيرًا في المجتمع الإسلامي والغربي، وعلى أهمية كتابات محمد أسد وصداها في الشرق والغرب وتلقيها بالقبول المطلق لدى المسلمين الناقدين للاستشراق إذ قد لا يخلو كتاب أحدهم من الإشارة إلى هذه الشخصية والاستشهاد بما كتبه في مواجهة الاستشراق، ومع ذلك فإن المتتبع لسيرة محمد أسد يجده مر بمرحلتين فكريتين، وهذا ما قد يجهله الكثير من الكتاب، وتتمثل كتاباته في التحذير من الاستشراق والتغريب المرحلة الأولى من حياته الفكرية، وأما المرحلة الثانية والأخيرة من حياته والتي

---

[1] ينظر: ص 38،39.

[2] ينظر: عبدالجبار ناجي، الاستشراق في التاريخ، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط1، 2013م، ص554، 555.

المنارة للاستشارات

كتب فيها ترجمة لمعاني القرآن فقد جانب الصواب فيها، ووقع في زلات كبيرة وتأويلات فاسدة تخالف حقيقة الشريعة الإسلامية[1].

وهذا لا يمنع من الثناء على جهوده وكتاباته ومواقفه المشرفة التي كانت في الفترة الأولى من حياته الفكرية، ولكن دون التمجيد المبالغ فيه، وخصوصًا إذا علمنا مقدار الأخطاء والزلات العقدية والفكرية التي وردت في كتاباته الأخيرة.

مما يؤخذ على بعض الدراسات الناقدة للحركة الاستشراقية الاعتماد على ترجمات غير موثوقة لكتب المستشرقين، يظهر فيها اختزال عبارة المستشرق والتصرف فيها، ويبني على تلك المصادر أحكامًا ومواقف غير دقيقة ولا أصل لها في كلام المستشرق، كبعض الدراسات التي أجريت على الجزء المترجم من دائرة المعارف الإسلامية، فمع عدم اكتمال تلك الترجمة التي توقفت عند حرف العين، إضافة إلى ما تضمنته تلك الترجمة من أخطاء ومن تداخل عبارات المترجم مع عبارات المستشرق، ومع ذلك أعد عدد من الدراسات اعتمادًا على النسخة المترجمة، والأسوأ من تلك الترجمة الاعتماد على ترجمة تجارية ومختصرة لدائرة المعارف الإسلامية[2].

اعتمد كثير من ناقدي الاستشراق على المراجع الوسيطة الناقلة لما كتبه المستشرقون، وبنيت على تلك المراجع الأحكام القاطعة والاستنتاجات، دون التنبه إلى ما قد يقع فيه المرجع الوسيط من أخطاء في النقل أو الترجمة، والتأثيرات المتعددة التي تحكم وتسير وجهة الكاتب.

طغى على عدد من الكتابات الناقدة للاستشراق التعميم في الحكم على الفكر الغربي، دون التفريق بين المنصف والمجحف منهم، ودون التفريق بين كل مرحلة من مراحل الاستشراق والوقوف على طبيعة تلك المراحل، مع غلبة المنحى العاطفي المفتقر للمنهجية العلمية العقلية على بعض الدراسات الناقدة للاستشراق.

---

[1] ينظر: إبراهيم عوض، فكر محمد أسد (ليوبولدفايس) كما لا يعرفه الكثيرون، دار الثقافة، قطر للطباعة والنشر، الدوحة، ط.1، 2005م.

[2] صدرت ترجمة مختصرة للدائرة في الشارقة عام 1998م.

المنارة للاستشارات

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة في مواقف عدد من الكتاب العرب المؤيدين للحركة الاستشراقية والمعارضين لها وتحليلها، وبعد أن استعرضنا أبرز تلك المنطلقات في الفصل الثالث، نأتي إلى ذكر أبز المقترحات حول هذه الدراسة، مكتفيًا بذكر أبرز النتائج بما تم الإشارة إليه في الفصل الثالث من هذه الدراسة؛ فمن المقترحات **والتوصيات:**

- ضرورة تحري العدل في الحكم على مواقف المستشرقين من الإسلام امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة:8]، مع الاهتداء بهدي القرآن الكريم في رده على أهل الجحود والإنكار.

- الالتزام بالأدب العلمي والهدي النبوي في الحوار والمناقشة ورد الشبهات، والبعد عن أسلوب الشتائم والإسفاف كما قال تعالى لموضوع: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ ﴾[النحل:125].

- الحرص على الإلمام بخلفيات المستشرقين ومناهجهم التي درسوا بها الإسلام.

- العناية بأن تكون المناقشات علمية معضدة بالأدلة النقلية والعقلية، بعيدة عن المناقشات العاطفية.

- الأهلية العلمية والمنهجية لمن تصدى لمناقشة شبهات المستشرقين.

- إعداد الدراسات التأصيلية التي تُعرف بالإسلام وتُظهر محاسنه بأسلوب يتوافق مع عقلية ومنهجية غير المسلمين، على أن تكتب بأبرز اللغات الغربية انتشارًا.

- التركيز في مناقشة شبهات المستشرقين ومواقفهم من الإسلام على أبرز القضايا العامة التي وردت حولها الشبهات، دون الانشغال بكل الجزئيات والشبهات وكل الدراسات لما فيها من تكرار، ولما يترتب على متابعة كل جزئية من هدر للوقت والجهد.

- العمل على الإفادة من الإسهامات العلمية للجاليات العربية والإسلامية في الغرب بما تميزوا به من إجادة لغات الغرب، مع إحاطة بخلفيات الغربيين الثقافية وسبل التأثير الفكري فيهم.

- الحرص على الإفادة من وسائل الإعلام وتقنيات التواصل الحديثة في التعريف بالإسلام والدفاع عنه.

المنارة للاستشارات

- العمل على التواصل مع أصحاب الفكر المعتدل من المستشرقين المعاصرين وممن عرفوا بالدفاع عن الحقوق العامة، وعقد الحوارات معهم، وإبراز مواقفهم في مواجهة أصحاب الفكر الإقصائي المتحاملين على الإسلام والعرب، والإفادة من دعوات حوار الثقافات لدعم هذا التوجه.

- الاهتمام بدراسة وتحليل المنهجية الاستشراقية مع الإفادة من المنهج التحليلي الذي برع فيه بعض ناقدي الاستشراق كإدوارد سعيد.

- تتبع العلاقة بين الاستشراق والعلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع والأنثربولوجيا والتي أصبحت تمثل صورة من الصور الحديثة للاستشراق في الزمن المعاصر.

- إجراء الدراسات عن الصورة المعاصرة للاستشراق والمتمثلة في وسائل الإعلام المختلفة.

المراجع:

01- أبو سعدة، محمد حسيني، الاستشراق والفلسفة الإسلامية، دار أبو حريبة للطباعة، 1995م.

02- أركون محمد، وآخرون، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة وإعداد: هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، 1994م.

03- الاستنابولي، محمود، طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، بيروت، المكتب الإسلامي، 1403هـ- 1983م.

04- الألوسي، حسام محيي الدين، صورة نقدية للاستشراق التقليدي والجديد، ضمن سلسلة الثقافة المقارنة: الاستشراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العدد الثالث، 1989م.

05- الألوسي، عادل، التراث العربي والمستشرقون، القاهرة، دار الفكر العربي، 1422هـ- 2001م.

06- بات، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1967م.

07- بدوي، عبد الرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، القاهرة، الدار العالمية للكتب والنشر، د.ت.

08- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، بيروت، دار العلم للملاين، د.ت.

09- البعلبكي، منير، المورد: قاموس إنكليزي – عربي، ط.26، بيروت، دار العلم للملايين، 1992م.

10- بن بني، مالك، القضايا الكبرى، سوريا، دار الفكر، 1991م

11- بن منظور، جمال الدين، لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، 2003م.

12- البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط.12، القاهرة، مكتبة وهبة، 1411هـ - 1991م.

13- جحا، ميشال، الدراسات العربية، والإسلامية في أوروبا، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1982م.

14- جحا، ميشال، موقف العرب من المستعربين والاستشراق سلسلة كتب الثقافة المقارنة، ع.1، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1987م.

15- جعيط، هشام، أوروبا والإسلام، بيروت، دار الحقيقة، 1980م.

المنارة للاستشارات

16- الجندي، أنور، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، بيروت- القاهرة، دار الجيل- مكتبة التراث الإسلامي، 1985م.
17- حسن، محمد خليفة، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997م.
18- حميش، سالم، الاستشراق في أفق انسداده، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1991م.
19- حنفي، حسن، التراث والتجديد، دار التنوير، بيروت، 1981م.
20- خليل، عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتقمري وات، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
21- دراز، محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، ط.3، الكويت، دار القلم، 1401هـ - 1981م.
22- الدسوقي، محمد، الفكر الاستشراقي في ميزان النقد العلمي، ضمن كتاب: دراسات استشراقية وحضارية، مركز الدراسات الإسلامية والحضارية، كلية الدعوة – المدينة المنورة، العدد الأول، 1413هـ - 1993م
23- الديب، عبد العظيم، المستشرقون والتراث، البحرين، مكتبة ابن تيمية، 1406هـ - 1986م.
24- زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1405هـ - 1985م.
25- زقزوق، محمود حمدي، الإسلام والاستشراق، القاهرة، دار التضامن للطباعة، 1404هـ - 1984م.
26- السامرائي، قاسم، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي، 1973م.
27- السامرائي، نعمان عبد الرازق، الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين محمد أركون، وإدوارد سعيد، دار صبري للنشر والتوزيع، 1409هـ - 1989م.
28- السايح، أحمد عبد الرحيم، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، د.ت.
29- السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط.3، المكتب الإسلامي، 1405هـ - 1985م.
30- السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط.4، بيروت، المكتب الإسلامي، 1405هـ - 1985م.
31- سعيد، إدوارد، الاستشراق (المعرفة – السلطة – الإنشاء) ترجمة: كمال أبو الديب، ط.2، بيروت، د.ت.
32- سمايلوفتش، أحمد، الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
33- السيد، أحمد فرج، الاستشراق: (الذرائع– النشأة– المحتوى)، دار طويق للنشر والتوزيع، 1414هـ - 1994م.
34- شاكر، محمود محمد، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ - 1992م.
35- الشرقاوي، محمد عبد الله، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
36- الشيخ، أحمد، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، القاهرة، المركز العربي للدراسات الغربية، 1999م.
37- طه، حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ط.2، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
38- الطهطاوي، محمد عزت، التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي محمد ﷺ وبلاد الإسلام، القاهرة، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، د.ت.
39- الطيباوي، عبد اللطيف، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ترجمة وتقديم: قاسم السامرائي، مطابع جامعة الإمام، 1411هـ - 1991م.

المنارة للاستشارات

40- عبد الرحمن، عائشة، تراثنا بين ماض وحاضر، القاهرة، دار المعارف المصرية، د.ت.
41- العقاد، عباس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، القاهرة، دار الإسلام، د.ت.
42- العقيقي، نجيب، المستشرقون، ط.4، القاهرة، دار المعارف، 1980م.
43- علي الصغير، محمد حسين، المستشرقون والدراسات القرآنية، ط.2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1406هـ - 1986م.
44- العليان، عبد الله علي، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، الدار البيضاء(المغرب)، المركز الثقافي العربي، 2003م.
45- عمر فروخ، المستشرقون: ما لهم وما عليهم، ضمن: الاستشراق، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، العدد الأول، 1987م.
46- عوض، إبراهيم، فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون، الدوحة، دار الثقافة للطباعة والنشر، د.ت.
47- عوني، محمد عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004م.
48- غراب، أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للاستشراق، ط2، لندن، المنتدى الإسلامي، 1411هـ.
49- الغزالي، محمد، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،ط.5، القاهرة، دار الكتب العلمية، 1408هـ - 1988م.
50- فايس، ليبولد، الإسلام على مفترق الطرق، نقله إلى العربية: عمر فروخ، دار العلم للملايين، 1946م.
51- كردي، محجوب، منهجية علم الاجتماعي المعرفي في كتابات بعض المستشرقين عن العقيدة، الإسلامية، ضمن كتاب: دراسات استشراقية وحضارية، مركز الدراسات الإسلامية والحضارية، كلية الدعوة – المدينة المنورة، العدد الأول، 1413هـ - 1993م.
52- لوكمان، زكاري، تاريخ الاستشراق وسياساته الصراع على تفسير الشرق الأوسط، دار الشروق، 2007م.
53- محمد حسين، محسن، الاستشراق برؤية شرقية، الوراق للنشر، بغداد، 2011م.
54- محمد خليفة، حسن، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، الرياض، مطابع جامعة الإمام، 1421هـ - 2000م.
55- محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، دار الرسالة.
56- مطبقاني، مازن، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، الرياض، دار أشبيليا، 1421هـ - 2000م.
57- مطبقاني، مازن، بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، د.ن.، 1420هـ - 2000م.
58- المطعني، عبد العظيم إبراهيم، افتراءات المستشرقين على الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، 1413هـ - 1992م.
59- معاليقي، منذر، الاستشراق في الميزان، بيروت، المكتب الإسلامي، 1418هـ - 1997م.
60- مغلي، محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، طباعة مركز الملك فيصل للبحوث، د.ت.
61- المنجد، صلاح الدين، المنتقى من دراسات المستشرقين، ج.1، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1976م.
62- ناجي، عبد الجبار، الاستشراق في التاريخ، بيروت، المركز الأكاديمي للأبحاث، 2013م.
63- نجدي، نديم، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي، بيروت، دار الفارابي، 2005م.

المنارة للاستشارات

64- الندوي، أبو الحسن، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ط.2، مؤسسة الرسالة، 1403هـ

65- النشمي، عجيل، المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1404هـ

66- النملة، علي إبراهيم، الاستشراق في الأدبيَّات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1414هـ/1993م

67- النملة، علي إبراهيم، الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصدريَّتهم، الرياض: مكتبة التوبة،1418هـ/ 1998م.

68- النملة، علي إبراهيم، المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشرقين المنصِّرين، الرياض، مكتبة التوبة، 1418هـ/1998م.

69- النملة، علي إبراهيم، ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات، الرياض: مكتبة التوبة، 1424هـ/ 2003م.

70- الهراوي، حسين، المستشرقون والإسلام، القاهرة، مطبعة المنار، 1936م.

71- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960م.

72- بسام داود عجك، التراث الإسلامي والاستشراق، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد السابع، 1990م.

73- السرحاني، محمد، إدوارد سعيد وموقفه من الاستشراق، مجلة كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، العدد التاسع، رجب 1433هـ

74- السيد، محمد الشاهد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، مجلة الاجتهاد، ع.22، 1994م، دار الاجتهاد، بيروت.

75- عبد الملك، أنور، الاستشراق في أزمة، ترجمة: حسن قبيس، مجلة الفكر العربي، العدد31، يناير/مارس 1983م، معهد الإنماء العربي، بيروت.

76- عبد النبي، اصطيف، نحو استشراق جديد، ضمن مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، العددان (50، 51)، ربيع وصيف العام 2001 – 1422هـ

77- عزوزي، حسن إدريس، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، 1427هـ- 2006م.

78- محمد خليفة، حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ضمن أبحاثه ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1427هـ- 2006م.

79- مظاهري، محمد عامر، منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين، ضمن أبحاثه ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1427هـ- 2006م.

80- نويهض، وليد، نهاية الاستشراق، جريدة الحياة، الثلاثاء 27 أيلول /سبتمبر 1994م، الموافق ربيع الأول: 1415هـ، ع. 11545.

المنارة للاستشارات